الإمام المحدث إسحق
ابن راهويه وأثره في السنة

الدكتور
أحمد عمر هاشم
رئيس قسم الحديث بالكلية

نسبه ونشأته :

هو أبو يعقوب اسحاق بن أبى الحسن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم ابن عبد الله بن مطر بن عبيد الله بن غالب بن عبد الوارث بن عبد الله بن عطيه ابن مرة بن كعب بن همام بن أسد بن مرة بن عمرو بن حنظلة بن مالك ينسب إليه بطن من تميم ، والمروزى نسبة إلى مرو وزيدت الزاى فى النسب للفرق بينه وبين المروى . ولقب أبوه براهويه ، لأنه ولد فى طريق مكة . والطريق بالفارسية (راه وويه) ومعناه وجد فكأنه وجد فى الطريق، قال أحمد بن سلمه : سمعت إسحاق بن إبراهيم يقول : قال لى عبد الله بن طاهر : لم قيل لك ابن راهويه ؟ وما معنى هذا ؟ وهل تكره أن يقال لك هذا؟قال : اعلم أيها الأمير أن أبى ولد فى طريق فقال المراوزة : راهوى ، لأنه ولد فى الطريق وكان أبى يكره هذا وأما أنا فلست أكرهه . وهذا يؤيد السبب فى إطلاق هذا اللقب عليه . وهو ولادته فى الطريق .

وقد ذكر ابن خلكان فى تاريخ مولده ثلاثة آراء : الأول : سنة إحدى وستين ومائة ، والثانى : سنة ثلاث وستين ومائة . والثالث : سنة ست وستين ومائة .

وأرجح أنه ولد سنة إحدى وستين ومائة ، ومما يؤكد ذلك : ما قام أبو زيد محمد بن يحيى بن خالد وهو أنه مات ليلة الخميس سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، وهو ابن سبع وسبعين سنة ، وهذا يرجح أن مولده كان فى سنة إحدى وستين ومائه ، وقد ولد إسحق بن راهويه مثقوب الأذنين(١) فمضى به أبوه إلى الفضل بن موسى فسأله عن ذلك فقال : « يكون ابنك رأسا إما فى الخير وإما فى الشر » .

وقد شاء الله لإسحاق أن يكون رأساً فى الخير ، أصبح أحد أئمة المسلمين ، وعلما من أعلام الدين ، فكان عالماً عاملا جمع بين الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد .

وقد عرف أصحاب الحديث فى زمنه مكانته وفضله ، بل وعرف له ذلك الأمراء ، وكانوا يعتقدون فيه اعتقاداً حسنا ، لما كان معروفا به من الصلاح وصيانة العلم ، ويدلنا على ذلك ماروا ه ابن عدى قال : ركب إسحاق ابن راهويه دين ، فخرج من مرو ، وجاء نيسابور ، فكلم أصحاب الحديث يحيى بن يحيى فى أمر إسحاق ، فقال : ما تريدون ؟

قالوا : تكتب إلى عبد الله بن طاهر رقعة ، وكان عبد الله أمير خراسان وكان بنيسابور ، فقال يحيى ما كتبت إليه قط ، فألحوا عليه فكتب فى رقعة إلى عبد الله بن طاهر : أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم رجل من أهل العلم والصلاح ، فحمل إسحاق الرقعة إلى عبد الله بن طاهر ، فلما جاء إلى الباب ، قال للحاجب : معى رقعة يحيى بن يحيى إلى الأمير ، فقال : يحيى بن يحيى : قال : نعم ، قال : أدخله فدخله إسحاق وناوله الرقعة فأخذها عبد الله وقبلها ،

---

(١) وفيات الأعيان حـ ١ ص ٨٠ الرسالة المستطرفة ص ٦٥ ، مرآة الجنان حـ ٢ ص ١٢١ وتاريخ بغداد جـ ٦ ص ٣٤٥ ، طبقات الشافعية الكبرى جـ ٢ ص ٨٥

وأقعد إسحاق بجانبه ، وقضى دينه ثلاثين ألف درهم ، صيره من ندمائه .

ويقول ابن السبكى معلقاً على ذلك : « انظر ما كان أهل العلم عند الأمراء ، وانظر ما أدنى هذه الكلمة وأقصر هذه الرقعة ، وما ترتب عليها من الخير ، وما ذلك إلا لحسن اعتقاد الأمير وصيانة أهل العلم » .

وقال محمد بن عبد الوهاب : « كنت مع يحيى بن يحيى وإسحاق نعود مريضاً ، فلما جاذبنا الباب تأخر إسحاق ، وقال ليحيى : تقدم ، فقال يحيى لإسحاق ، بل أنت تقدم ، فقال يا أبا زكريا أنت أكبر منى قال : نعم ، أنا أكبر منك ، ولكنك أعلم منى ، قال : فقدم إسحاق(١) .

وفى هذه الرواية ما يدل على ما كان عليه إسحاق من منزلة عظيمة فى نفس يحيى بن يحيى وغيره كما يدل على التقدير والإجلال للعلماء ، وأن مقياس التقدم والأفضلية إنما هو العلم لاسيما العلم المصحوب بالعمل .

حياته العلمية

وقد عاش ابن راهويه حياته العلمية جامعاً بين الفقه والحديث والورع والتقوى ، وكان يسمع قبل رحلته فى طلب العلم — من ابن المبارك ، ومن الفضل الشيبانى ، والنضر بن شميل ، وأبى نميلة يحيى بن واضح وعمر بن هارون . وابتدأ رحلته العلمية سنة أربع وثمانين ومائة وهو ابن ثلاث وعشرين سنة فرحل إلى العراق والحجاز والشام واليمن(٢) وقد ورد بغداد

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى حـ ٢ ص ٨٤ ، ٨٥ ، ٧٧

(٢) تاريخ بغداد حـ ٦ ص ٣٤٥ ، وفيات الأعيان حـ ١ ص ٨٠ طبقات الشافعية حـ ٢ ص ٨٤

غير مرة وجالس حفاظ أهلها ، وذاكرهم وعاد إلى خراسان فاستوطن نيسابور إلى أن توفى بها وانتشر علمه عند الخراسانيين .

شيوخه وتلاميذه :

وقد سمع من جرير بن عبد الحميد ، وسفيان بن عيينة ، وعبد العزيز الدراوردى وفضيل بن عياض ومعتمر بن سليمان وإسماعيل بن علية ، وبقية ابن الوليد وحفص بن غياث وعبد الرحمن بن مهدى ، وعبد الوهاب بن الثقفى ، والوليد بن مسلم ، وعبد العزيز ابن عبد الصمد ، وأسباط بن محمد وحاتم بن إسماعيل وعتاب بن بشير الجزرى وعبد الرازق بن همام ، وأبى بكر بن عياش وغيرهم .

وروى عنه : البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى ويحيى بن معين ، ومحمد بن يحيى الذهلى وإسحاق بن منصور السكوسج ، ومحمد بن نصر المروزى ، وأحمد بن سلمة ، وابنه محمد بن إسحاق بن راهويه وخلق سواهم آخرهم أبو العباس السراج ، وروى عنه من قدماء شيوخه يحيى بن آدم وبقية بن الوليد(١) ، وهذا يدل على تضلعه فى العلم ورسوخ قدمه ويشهد له بمكانته العلمية فى نفوس شيوخه وتلاميذه .

حفظه واتقانه :

وكان ابن راهويه يحفظ سبعين ألف حديث ، ويذاكر بمائة حديث ، وقال : ما سمعت شيئا قط إلا حفظته ، ولا حفظت شيئا فنسيته .

وهذا يدل على عقلية لماحة ، وذاكرة حافظة واعية .

(١) طبقات الشافعية حـ ٢ ص ٨٤ ، تاريخ بغداد حـ ٦ ص ٣٤٥

وقد بلغ ابن راهويه فى الحفظ والإتقان درجة عالية ، وكان مجموع الأحاديث التى استوعبها فى الكتب يعرف كأنه ينظر إليها ، وما يحفظه منها ، يحفظه عن ظهر قلبه ، بل أنه حفظ أربعة الآف حديث مزورة ، ليستطيع التمييز بينها وبين الصحيح ، وقد وردت أقوال وآراء للعلماء توضح مدى حفظه واتقانه ، وتشهد له بالثقة والصدق والعلم والإمامة .

قال الدارمى : « ساد اسحاق أهل المشرق والمغرب بصدقه » فهذه شهادة من الدارمى بصدق اسحاق ، وسيادته أهل المشرق والمغرب بسبب صدقه وقال مرة وقد سئل عن اسحاق — : مثل اسحاق تسأل عنه ؟ اسحاق عندنا إمام(١) .

وهذه شهادة أخرى بامامته ، وأنه بلغ درجة لا يسأل عنه فيها : وقال أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد : « سمعت اسحاق بن ابراهيم الحنظلى يقول : « أعرف مكان مائة ألف حديث كأنى أنظر إليها ، وأحفظ سبعين ألف حديث عن ظهر قلبى ، وأحفظ أربعة آلاف حديث مزورة ، فقيل له : ما معنى حفظ المزورة ؟ قال : إذا مر بى منها حديث فى الأحاديث الصحيحة فليته منها فليا(٢) .

وقال أحمد بن سلمة : سمعت أبا حاتم محمد بن أدريس الرازى يقول : « ذكرت لأبى زرعة اسحاق بن ابراهيم الحنظلى وحفظه للأسانيد والمتون ، فقال أبو زرعة : مارؤى أحفظ من اسحاق قال أبو حاتم : « والعجب من أتقانه وسلامته من الغلط مع مارزق من الحفظ » وقال أبو داود الخفاف :

(١) مرآة الجنان حـ ٢ ص ١٢٢ ، طبقات الشافعية الكبرى حـ ٢ ص ٨٦

(٢) تاريخ بغداد حـ ٦ ص ٣٥٢

« أملى علينا اسحاق بن راهويه أحد عشر ألف حديث من حفظه ثم قرأها علينا فما زاد حرفاً ولا نقص حرفاً(١).

فأيه مكانة تلك التى كان عليها اسحاق بن راهويه؟ هذا الإمام الحافظ الثقة الصدوق الذى عرف فضله القاصى والدانى، وشهد له كبار الأئمة، وروى عنه بعض شيوخه.

أنها إذا لمكانة جليلة، وهبة من الله تعالى عظيمه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

بين الشافعى واسحاق :

ذكر الدار قطنى اسحاق فيمن روى عن الشافعى رضى الله عنه، وعده البيهقى فى أصحاب الشافعى، وكان اسحاق بن راهويه قد ناظر الشافعى فى مسألة كراء بيوت أهل مكة كما ناظره وأفتى به وهو أن دباغها ظهورها(٢).

وقد لازم بن راهويه الشافعى وأعجب به واتبع مذهبه، وهذا الموقف يرينا أريحية نفسه وحبه للعلم ورجوعه إلى الحق وهذا شأن المخلصين للعلم والباحثين عن الحقيقة.

---

(١) تذكرة الحافظ للذهبى حـ ٢ ص ٤٣٤، تاريخ بغداد ص ٣٥٣، ٣٥٤.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى حـ ٢ ص ١٩ وما بعدهما.

أبن قتيبة واسحاق :

وقد تأثر ابن قتيبة باستاذه اسحاق بن راهويه فى عنايته بالحديث وأنشغاله به، كما تأثر به فى تفسير القرآن الكريم وكان ابن قتيبه يلتقى باسحاق فى نيسابور وبغداد وأخذ عنه علوم الدين، كما تأثر به فى الورع والسلوك الحميد، فقد بث فيه من أخلاقه وسراياه الطيبة الكثير، ونلاحظ توافق ابن قتيبة واسحاق، وتقارب الإتجاهين فى الدفاع عن الحديث حيث أن اسحاق قدم للحديث مجهوداً ضخماً فقام بتنقيته من الدخيل عليه، وتجريده من مسائل الفقه والتفسير.

البخارى واسحاق :

وممن تأثر بإسحاق تأثراً كبير الإمام البخارى الذى استفاد من المجهودات الضخمة التى قام بها اسحاق من النظر فى الأحاديث ونقدها متنا واسناداً وتصحيحها، وترتيب أنواع الحديث فمهد بهذا العمل الطريقة للبخارى الذى سار على نهجه فى التأليف والنقد، وألف البخارى كتابه الجليل « الجامع الصحيح » بمشورة استاذه ابن راهويه قال أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى : « كنا عند اسحاق بن راهويه فقال : لو جمعتم كتابا مختصراً لصحيح سنة رسول الله ﷺ ؟ قال : فوقع ذلك فى قلبى فأخذت فى جمع الجامع الصحيح(١).

وبهذا يتضح ما كان للبخارى من منزلة عند استاذه الذى كان يعرف فيه مقدرته على هذا العمل العظيم، ويأنس فيه الكفاءة الممتازة.

---

(١) هدى السارى لابن حجر ص ٥

ويلاحظ أن بين البخارى واسحاق تشابها فى المنهج العلمى الذى سار عليه كل منهما فى الدفاع عن الحديث وتصفيته والقيام بنقد السند والمتن واستنباط الأحكام الفقهية دون إكثار من الرأى فيه .

اسحاق وأهل الرأى :

وكان اسحاق يذكر أصحاب الرأى ، ويظهر بغضه فيهم لشذوذ أقاويلهم وينبه على بعض منها ، وكان يقول نبذوا كتاب الله تعالى ، وسنن رسوله ﷺ ، ولزموا القياس(١) .

وكان يرى أن أهل الرأى يؤولون الأحاديث تأويلا لايقره العقل ويلقى المتبعة فى ذلك على أتباع مذهب أبى حنيفة ، فمن جاء بعده من أهل النظر والقياس بأنهم الذين يحملون أوزار ما أوجدوه ، ولا شك أن رأى الإمام أبو حنيفة برىء من ذلك ، وكان ابن قتيبة يطلق على هؤلاء الأتباع أسم العصابة(٢) .

مصنفاته :

ومن مصنفات ابن راهويه :

١ — كتاب المسند ، ويوجد الجزء الرابع منه فى دار الكتب المصرية ، مخطوطاً ، تحت رقم (٤٥٤ حديث) وأصل الكتاب ستة

(١) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٦٥

(٢) البخارى محدثاً وفقيها للدكتور الحسينى هاشم ص ٤٩

مجلدات ، ومن رواته : أبو محمد عبد الله بن محمد النيسابورى ، وهو مرتب على أسماء الصحابة ، وقد ذكر أبو زرعة الرازى : أنه يخرج فيه أمثل ماورد من أحاديث الصحابة ، والأمثل ليس بلازم أن يكون صحيحاً بل إنما يكون أفضل مما تركه ، ولهذا وقع فيه الضعيف كما وقع فى غيره(١) .

ا . د . أحمد عمر هاشم
أستاذ ورئيس قسم الحديث بالكلية

(١) الفية السيوطى بتعليقات الأستاذ / محمد محيى الدين عبد الحميد .